السنة الثالثة والثلاثون وأربع مئة

فيها شغَب الغلمان بواسط على [الملك][١] العزيز، وسألوه أن يُسلِمَ إليهم وزيرَه أبا الفضل بن الطيب فلم يقبَلْ، وأصعد إلى النُّعمانية، وكاتب أباه جلال الدولة في إنفاذ العساكر إليه ليدفع الغلمان عن واسط ويُكاتب دُبيساً والأطرافَ بمعاونته، وكتب إليه أبوه: هذا ما لا تقتضيه سياسة، وقد عرفتَ الأتراك، والرأيُ إبعاد الوزير، وإرضاءُ الغلمان، والسلوكُ بهم طريق اللطف. فقبض على الوزير، وعاد إلى واسط، وأخذ من الوزير ما قيمتُه عشرةُ آلاف دينار، وقرَّر عليه خمسة عشر ألف دينار، وقنع منه بها، ولمَّا عاد العزيز إلى واسط وجد الأتراك على حالهم في الاستيحاش منه، ولم يلتقوه، ونهبوا دور الناس، وقتلوا جماعةً، فكتب إلى أبيه يسأله أن ينحدر إلى واسط لإقامة الهيبة والعمل بالسياسة، وضَمَّنَ الكتابَ أبياتاً، وكان شاعراً فاضلاً لطيفاً، فأوَّلُها:

[من الوافر]

أَجَدَّ اليومَ جيرتُكَ اختلاطاً ... غداةَ رمَوا بعيسِهمُ البَلاطا
سَرَوا ونِياطُ قلبِكَ في يديهِمْ ... فلمَّا أبعَدوا قطعوا النِّياطا
أحقًّا ما تُطيقُ لآلِ نجدٍ ... ولا لفؤادِكَ اليومَ ارتباطا
أسُكَّانَ اليمامةِ هل فؤادي ... يُطيقُ على فراقكمُ انبساطا
أحَطْنَ بِدَلِّهِنَّ[٢] على فؤادي ... ولم أقدِرْ عليهِنَّ احتياطا
ألا يا أيُّها المُزْجي قِلاصاً[٣] ... إذا وُجِدَتْ نظُنُّ به خِباطا[٤]
زُرِ الزَّورا وأبلِغْ من مقالٍ ... رسائلَ ما أُريدَ بها اشتِطاطا
وقُلْ للشيخِ شيخِ بني بُوَيهٍ ... وعِزِّ ملوكِها انهَضْ لا تَباطا
فإنَّ الناسَ قد سئِموا ومَلُّوا ... دوام العذلِ واختلطوا اختلاطا

---

(١) الزيادة من (ف).

(٢) الدَّلُّ: الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك. المعجم الوسيط (دلل).

(٣) القِلاص؛ جمع قَلوص: وهي الفتيَّةُ المجتمعة الخلق من الإبل. المعجم الوسيط (قلص).

(٤) الخِباط: الغبار. المعجم الوسيط (خبط).

فحَكِّمْ سيفَك الماضي عليهِمْ فقد ضلُّوا ببغيهِمُ السِّراطا
ولا تضعِ السياطَ تُريدُ عفواً فمَنْ رامَ العُلا وضعَ السِّياطا
وخُضْ بالخيل في دمِ مَنْ تُلاقي تَزِدْها في لقائهِمُ نشاطا
وكُنْ بالعفوِ عنهُمْ ذا انقباضٍ كما ازدادوا على الملكِ انبساطا
أتنسى فِعْلَهُمْ لمَّا تعاطى(١) كبيرُهُمُ بعينِكَ ما تعاطى
فزَعْزَعَ عن سريرِ الملكِ رُكناً فصيَّرهُ القضاءُ له بساطا
فإن تتركْ لهم رأساً يسودوا فكَمْ راموا برأسِهِمُ ارتباطا(٢)
[ولا تغفَلْ عن الجُهَّالِ واجعَلْ صدورَهُمُ لأرؤسِهِمْ سِماطا](٣)
وخَلِّ كبيرَهُمْ فَرَقاً وخوفاً يوَدُّ لوَ انَّه سكنَ القِماطا
بهذا الفعلِ تحذَرُكَ الليالي وتحظى في ممالِكِكَ ارتباطا

فبرز جلال الدولة من بغداد يوم الخميس سابع صفر إلى باب الأزج منحدراً إلى واسط؛ ليصلح الحال، ومعه البساسيري، وكان تقرَّر أن الملك يسير إلى واسط، ويسير البساسيري بجماعة من الغلمان إلى بادَرايا(٤) وأعمال أبي الفتح بن وَرَّام، وكان عدوَّه، وعزم البساسيري على قصده غير مرة والخليفةُ والملكُ يمنعانه، وانحدر الملك في ربيع الأول إلى واسط، ودخل دُبَيس في قضية ابن وَرَّام وإصلاح حاله مع الملك.

[وفيها في شهر شعبان ورد الخبر بوفاة مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين بغَزْنة، وسنذكره].

وفيها قدم قوم من البَلْغَر بغدادَ قاصدين الحج، وكانوا خمسين رجلاً، ومعهم بعض رؤسائهم، فأنزلهم الخليفةُ وأكرمهم، وسُئِلوا عن حالهم [وبلادهم ومن أيِّ الأمم] فقال رئيسهم: البَلْغَر قومٌ تولَّدوا بين الترك والصقالبة، وبلادهم أقصى بلاد الترك، ولهم عيونٌ وآبارٌ وزروع، وعندهم العسلُ كثير، ويقصر الليل عندهم حتى يصير ستَّ

(١) في (ف): تعالى.
(٢) في (خ): سماطا، وهي من البيت الآتي وهو ليس فيها، والمثبت من (ف).
(٣) هذا البيت من (ف)، والسِّماط هنا: ما يُمَدُّ ليوضع عليه الطعام في المآدب ونحوها. المعجم الوسيط (سمط).
(٤) البادَرايا: بلدة بالنهروان قريبة من واسط. معجم البلدان ١/ ٣١٦.

ساعات، وكذا النهار، وكانوا كفاراً، وهم مقدار خمسين ألف خَرْكاة، فأسلموا جميعُهم، وصاروا [كلُّهم] على مذهب أبي حنيفة.

[وذكر الفقيه ابنُ الصابىء فقال: خرج هذا البَلْغَري وأصحابه إلى مكة مع أبي القاسم الأقساسي المتولِّي أمرَ الحاجِّ، فلمَّا توسَّط الطريق قطع عليه العرب].

وفيها قُرىء الاعتقادُ القادريُّ في ديوان الخليفة. قال أبو الحسين محمد بن محمد بن الفراء: أخرج القائم بالله اعتقاد أبيه فقُرىء على القضاة والأشراف والعلماء والزُّهَّاد، وحضر أبو الحسن ابن القزويني الزاهد، فمِنْه بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ: فإنه يجب على الإنسان أن يعلم أنَّ اللهَ وحدَه لا شريكَ له، لم يَزَلْ أولاً وآخراً، قادراً على كل شيء، لا تُخْلِقُه الدهور والأزمان، ولا اختلافُ الليل والنهار، ولا يحويه مكان، وأنه خلق العرش لا لحاجته إليه، ثم استوى عليه كما شاء، لا استواءَ راحة، ولا ما يُشبه المخلوقين، ولا نَصِفه إلا بما وصف به نفسَه ووصفه به أنبياؤه، وأنَّ كلامه قديمٌ غيرُ مخلوق، كلَّم به موسى عليه السلام تكليماً، وأنزله على محمد ﷺ على لسان جبريل عليه السلام بعدما سَمِعه جبريلُ عليه السلام من الله تعالى، وتلاه على رسوله محمد ﷺ، وتلاه محمد ﷺ على أصحابه، وتلاه أصحابُه على الأمة، ولم يصِرْ بتلاوة المخلوقين له مخلوقاً؛ لأنه ذلك الكلام بعينه الذي تكلَّم به اللهُ تعالى متلوًّا ومحفوظاً ومكتوباً ومسموعاً، فمن قال بأنه مخلوق فهو كافرٌ حلالُ الدم، وأن الإيمان قولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وأعلاه لا إله إلا الله، وأدناه إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا يعلم الإنسان ما يُفعَلُ به، ولا بماذا يُختم له. ثم ذكر الصحابة على طبقاتهم وقرابتهم، وترحَّم عليهم، وقال: مَنْ دخل بينهم فلا حظَّ له في الإسلام، جعلنا الله لآلائِه شاكرين، وبالسُّنَّة معتصمين، وغفَرَ لنا ولجميع المسلمين.

ولمَّا فرغ من قراءته كتب الشيخ أبو الحسن علي ابن القزويني الزاهد قبل أن يكتب أحد: هذا اعتقاد المسلمين، ومن خالفه فقد كفر، وكتب الناس بعده(١).

---

(١) الخبر في المنتظم ١٥/ ٢٧٩-٢٨٣ مطول.

وفيها ختن أبو كاليجار ابنَه أبا منصور ختانةً مخفيةً، ولم يشعر بها أحد، وذلك بشيراز، وعمِلَ للنساء سِماطاً ذُبِحَ فيه ألفٌ ومئةُ رأس من الغنم، ومن الدجاج خمسة آلاف، ومن الحلوى خمس مئة جام، ومن الفواكه ألف سلة، وحصل للخاتن ما قيمتُه ألف دينار.

وفي رجب عاد جلال الدولة إلى بغداد، وزادت دِجلةُ زيادةً عظيمةً، بحيث دخل الماء من الرواشن، وعاين الناسُ الهلاك، وكان الماء تسع عشرة ذراعاً، وغرق من بلاد العراق عشرون ألف كُرٍّ من الغلَّة.

وفيها تُوفِّي

الأجلُّ العادل بَهْرام بن مافنَّة[1]

ابن سهل، أبو منصور، وزير أبي كاليجار، وولد بكازْرُون سنة ست وستين وثلاث مئة، ونشأ عفيفاً، وعمل بفيروزآباذ[2] خزانة كتُبٍ تشتمل على سبعة آلاف مجلد، فيها أربعة آلاف ورقة، بخطِّ أبي علي وأبي عبد الله ابني مُقْلة، وتُوفِّي يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الأولى[3] في داره بشيراز بعد عوده من سيراف، وكان مُهذَّبُ الدولة هبةُ الله بن الفضل نائباً عنه، فكتم موتَه، ودعا وجوهَ الدَّيلم والأتراك إلى داره، ثم خرج إليهم كأنه من عنده، وقال: العادل يقول: قد عرفتُم جميلي إليكم، وحقوقي عليكم، وأنا في غمرات هذه العِلَّة العارضة لي، ولستُ أدري إلى أيِّ شيء يُفضى بي، وفي داري مالٌ وثيابٌ ومتاعٌ وأثاثٌ وغِلمان، وفي إصطبلي دوابُّ وبغال، فإن حسَمْتُم الأطماع عنه وحرستموه ومَنعْتُم منه، ثم تفضَّلَ الله بالعافية لم تَعْدَموني حَسنَ المكافأة، وإن تكن الأخرى فجميعُ ذلك للسلطان، وهو مالكه والمطالبُ بقليله

(١) الكامل ٩/ ٥٠٢.

(٢) في (خ): بروزباذ، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في المنتظم ١٥/ ٢٨٢، و الكامل ٩/ ٥٠٢، والترجمة فيهما باختصار.

(٣) في (ف): الآخرة.

وكثيره، والعهدةُ لازمةٌ لكم فيه. فأظهروا الانزعاج والجزع، وبذلوا الخدمة في الحفظ والحراسة، واستدعى كبارَ الديلم وأعيانَهم ورتبهم في الدار والإصطبل، وكان يَثِقُ بهم ويعتمد عليهم، وكان الملك أبو كاليجار بظاهر شيراز، فكتب إليه بخبره، فأمره بالتوقف حتى يحضر، ووصل في اليوم الثاني يوم الخميس وقد كُفِّنَ العادلُ ووُضِعَ في تابوته على أن يُدفَنَ بمشهد أم كلثوم، ولحقه فصلَّى عليه بين الظهر والعصر، وتقدم إلى الجماعة بحمله إلى فيروزآباذ ليُدفن عند أهله بعد أن أظهرَ الحزن الشديدَ على فقده، ثم شكر المهذَّب على حفظ الدار وما فيها، وندَبَه إلى القيام مقام العادل فامتنع، وقال: لا أقدر. فندبه ثانياً، فأجاب، فخلع عليه خِلَعَ الوزارة القميصَ والقَباءَ والفَرَجيَّةَ والعِمامةَ والقصبَ والسيفَ والمِنْطَقة، وحُمِلَ على فرس بمركب ذهب، وقُيِّد بين يديه بغلةٌ بمركب ذهب والسلاح المذهب، ودَواةٍ من ذهب، وأعطاه الملك من يده خاتمين من ذهب فَصَّاهما ياقوت وفيروزج، وبعث إليه دَسْتَ الوزارة، وخلع على الكُتَّاب وأصحابِ الدواوين وغيرِهم، وفقد الناس من العادل ـ رحمه الله ـ ما لا يخلف مثله رأياً وعقلاً وسياسةً وعدلاً وشرفاً ونُبلاً ونباهةً في كلِّ خَلَّةٍ جميلةٍ وفضيلةٍ جليلةٍ كانت فيه.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن جعفر

أبو الحسين [المعروف بالجهرمي]، البغدادي [قال الخطيب: هو أحد الشعراء الذين لقيناهم وسمعنا عنهم]، كان يجيد الغزل، ولد في سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة، وسكن دار القطن، وتوفي يوم السبت تاسع عشر جمادى الآخرة، ومن شعره:

[من الكامل]

يا ويحَ قلبي من تقلُّبِهِ ... أبداً يحِنُّ إلى مُعذِّبِهِ
قالوا كتمتَ هواه عن جَلَدٍ ... لو كان لي جَلَدٌ لبُحْتُ بِهِ
بأبي حبيبٍ غيرِ مُكترثٍ ... يجني ويُكثِرُ من تَعتُّبِهِ
حسبي رضاهُ من الحياةِ ويا ... قلقي وموتي من تَغَضُّبِهِ

[وفيها تُوفِّي]

مسعود بن محمود[١]

ابن سُبُكْتِكين، أبو سعيد، صاحب خراسان.

[قال جدي في «المنتظم»[٢]: تُوفِّي وقام أخوه مقامه، وخرج مودود بن مسعود على عمِّه محمد فقبض عليه، وعاد إلى غَزْنة، واستتبَّ له الأمر. قلت: هذا صورة ما ذكر جدي].

قال هلال بن [المحسن بن] الصابىء: ورد في النصف من شعبان كتابٌ من غَزْنة يذكر فيه وفاة [أبي سعيد] مسعود [بن محمود] في سنة اثنتين وثلاثين ببلاد الهند.

كانت عادةُ مسعود جاريةً بالخروج من غَزْنة في فصل الشتاء، والدخول إلى بلد الهند؛ لكثرة البرد بغَزْنة، فلمَّا كان سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة أخذ أهلَه وولدَه وحرمَه وعسكرَه وقطعةً من ماله وسار إلى بلاد الهند على رسمه، وأخذ معه أخاه محمداً وهو ضرير، وكان مسعود قد سمله في القلعة خوفاً منه، فلمَّا وصل إلى نهر حالم ويقال: هو سَيْحون، وهو بمقدار دِجْلة، فنزل عليه، وواصل الشرب والسُّكر على رسمه في الإكثار منها، وأمر بعبور حرمِه وولدِه ومالِه، فلمَّا تكامل ذلك عبر بنفسه وسبق إلى قلعة كان أبوه بناها على قرب حالم، فصعد إليها، وتبعه خصيٌّ يُعرف بأبي سُكَين البلخي في ألف غلام إلى الموضع الذي نزل فيه، ومدُّوا أيديهم إلى نهب ما كان خارج القلعة من المال والرجال، وسمع مسعود الضجَّةَ، وكان نائماً فانتبه، وأشرف عليهم من أعلى القلعة، فرآهم قد خرقوا الهيبة، وأظهروا المباينة، فتحصَّن بموضعه، وأغلق أبوابها، فعادوا راجعين إلى بقية العسكر، فوجدهم قد عبروا النهر، فاتَّفقوا بأسرهم على كراهية مسعود والقبض عليه، ووصلوا إلى القلعة ومعهم أخوه محمد أعمى، وقد أركبوه فيلاً وملَّكوه، وطالبوا مسعوداً بالخروج إليهم، فامتنع، فقالت له والدته: لا تفعَلْ، فإنَّ مكانك لا يعصمك منهم، ولأن تخرج إليهم على

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٥٩، والمنتظم ١٥/ ٢٨٣، والكامل ٩/ ٥٠٣.

(٢) المنتظم ١٥/ ٢٨٣-٢٨٤.

موافقة وعهد أولى من أن يأخذونا أسرى. فخرج إليهم، فقبضوا عليه وسلَّموه إلى أخيه محمد، فلما تسلَّمه قال: يا أخي، واللهِ لا قابلتُكَ بما عاملتني به، ولَأُعامِلَنَّكَ بالجميل الذي تقتضيه الرَّحِمُ بيني وبينك، فانظُرْ أيَّ مكان تؤثر لأحمِلَكَ إليه، تُقيم فيه، وأُنزلك ومن تختار من حرمك ومالك وثيابك وما تستدعيه. فاختار قلعةً كبرى، فأنفذه إليها محروساً مُكرَّماً مصوناً موقراً، ثم اتفق ابن محمد وابنُ يوسف ابنُ عمهم وابنُ علي خوشاند على قتل مسعود، فأعملوا الحيلة، ولم يعلم محمد، فدخل ابنُ محمد إلى والده وطلب خاتمه ليختم به الخزائن، فأعطاه إيَّاه، فمضى ابن محمد وابن يوسف وابن خوشاند في جماعة إلى القلعة التي فيها مسعود، فأرَوا المقيمَ بها الخاتمَ، وسألوه أن يفتح لهم ليوردوا على مسعود رسالةً يحملوها من محمد إليه، وعلم مسعودٌ فأحسَّ بالشرِّ منهم، فقال له: لا تفتَحْ. ووعدَه وأرغبَه فلم يقبَلْ، وفتح فصعدوا ودخلوا على مسعود، فقتلوه وحملوا رأسه إلى محمد، فوضعه ابنُه بين يديه، فقال: ما هذا؟ قال: رأس مسعود. فلطم وجهه، وشقَّ ثيابه، وجزع جزعاً شديداً وأنكر على ابنِه فِعْلَه، وقال: واللهِ لنُقتَلَنَّ كلُّنا. ثم انفرد في بيت حزيناً، فاجتمع إليه خواصُّه وقالوا: لا تفعل، فإنَّ هذا ممَّا يوحشُ عسكرك منك وينفِّرهم عنك، وقد مضى ما مضى، ولن يعود الفائت، فأطلق للجند وأعطاهم، وبلغ أبا الفتح مودود بن مسعود، وكان بغَزْنة وبينه وبين المكان الذي فيه محمد والعسكر عشرة أيام، فانتخب من عسكره عشرةَ آلاف فارس، وقيل: خمسة آلاف، وأغذَّ[1] السير ليلاً ونهاراً حتى كبسهم ليلاً، وكانوا عشرين ألفاً، فظهر عليهم، وقبض على محمد وابنِه وابنِ يوسف وابنِ علي خشاوند وجميعِ من كان معهم في القصر، فثقب كعابهم، وجعل فيها الحبال، وجرَّهم ذاهبين وعائدين في أرجل الخيل إلى أن تقطَّعوا، ومناديه يُنادي: هذا جزاء مَنْ غدرَ وكفرَ وأقدمَ على قتل وليِّه ومولاه. ثمَّ قتل عمَّه محمداً وعدداً كبيراً من الغلمان ومَنْ شكَّ فيه واستراب منه، وأفنى الغلمان الذين غدروا بأبيه ونهبوه وقبضوا عليه، وعاد إلى غَزْنة مالكاً، ووزر له وزير أبيه أبو نصر بن عبد الصَّمد، وأظهر العدلَ وحُسنَ السيرة، وسلك طريقَ جدِّه محمود في السياسة، وعاد إليه بعضُ خراسان، وكان طُغْرُلْبَك مقيماً

---

(١) في (ف): أجَدَّ.

بنيسابور مع التركمان، فاستولى[١] على خراسان، وأقام أخوه داود بمرو، وسنذكر القصة إن شاء الله تعالى.

[وفيها تُوفِّي]

أنوشْتِكين الدِّزْبَري

قسيمُ الدولة، نائب صاحب مصر[٢] بالشام، وكان يُدِلُّ على صاحب مصر إدلالاً عظيماً؛ بتهذيبه الأمور، وقيام الهيبة، وحُسن السياسة، وطرد العرب عن الشام، وقد ذكرنا وقائعه وأخباره واستيلاءه على الشام.

وصار الرومُ يراعونه، وأصحابُ الأطراف يخافونه ويتّقونه، ورعيةُ البلاد يُؤثرونه ويُحبُّونه، والتجارُ المتردِّدون يدعون له ويشكرونه، وبلغ أبا القاسم الجَرْجَرائي وزيرَ مصر بأن كاتب الدِّزْبَري أبا سعيد يأمره بالفساد، فكتب إليه بإبعاده عنه، وإنفاذه إلى مصر، فامتنع، فنفر الوزير منه، وشرع في إعمال الحيلة عليه، فكاتب رؤساء الأجناد، وأمرهم بالعصيان عليه، والتخلِّي عنه، واستدعى جماعةً منهم إليه، وعرَّفهم ما في قلبه منه، وعادوا إلى دمشق فأغروا الجندية، وعلم الدِّزْبَري، فقطع أرزاقَ الجند، وكاشف بالعصيان، فاجتمعوا إلى ظاهر دمشق وهو نازل في قصره، وحاولوا الهجوم عليه، فقاتلهم وقاتلوه، وحال بينهم الليل وقد نهبوا الخزائن، فعلم أنه لا طاقة له بهم، فسار إلى بَعْلَبَك في جماعة من غلمانه، وبها رجل يُعرف بالحواري، فأغلق الباب في وجهه، فسار إلى حماة، وبها خليفة بن جابر الكلابي، فأراد نهْبَه، فسار إلى حلب، فتلقَّاه أهلُها إلى جبل جَوْشَن، ولولا المُقلِّد بن منقذ الكفرطابي ما وصل؛ لأنه سار في خدمته من كفر طاب، ولمَّا دخل حلب فرح به أهلها وزيَّنوها، وأقام بها متأسِّفاً على ما فارقه من ملك الشام حزيناً، فلمَّا كان يوم الأحد الرابع عشر من جمادى الأولى تُوفِّي، ودُفِنَ بحلب، وحزن الناس عليه؛ لإحسانه إليهم، ولم يَلِ الشامَ أعفُّ ولا أعدلُ منه، وولي دمشق بعده ابنُ أبي الجن.

---

(١) في (ف): فاستولوا.

(٢) تحرفت في (خ) و(ف) إلى: حلب، والمثبت من (م) و(م١) ويدلُّ عليه سياق الكلام، وهو الموافق لما في الكامل ٩/ ٥٠٠ وغيره من المصادر.